

البحثري

درس وتعليق

محمّد

ما أكثر الشعراء في تاريخ الادب العربي وما أكثر الكتب التي تبحث هذا التاريخ حتى يكاد المطالع يقصر الادب على الشعر فمنذ فجر التاريخ والعرب ينشدون الشعر وهو سهل المخرج عندهم حتى روي عن رجالهم النابيهين وغير النابيهين حتى الاقدام ونسائهم المشهورات وغير المشهورات وعن صبيانهم وفتياتهم في كثير من مظاهرهم ومرافق حياتهم، وكانوا يقبلون هذه الروايات على علاقتها حتى ظهر النقد والاختلاف في الازواق والاهواء وعاش الشعر وظهر بكل مظاهره ولم يوضع له ميزان غير ميزان الازنان، والعروض علاقتها بالشعر محدودة وهي المادّة والمقصود الروح

ثم ظهر من رتب الشعراء مراتب ولكنها مساذجة
ترجع الى الأهواء والأذواق فكان يقدم شاعر ابنت ويخزي
بآخر ويغلب بقصيدة او بيت والتاريخ صادق فالشعراء
الاحياء الخالدون هم اقلية وأقلية يعدون على أصابع اليد الواحدة
فلم يعرف في المائة الاولى للعصر العباسي من لقب بالشاعر
غير واحد وهو ابو نواس وفي المائة الثانية غير شاعر واحد
هو البحتري ثم غاض الممين وتوسي اسم الشاعر واصبح
الشعراء لا يحصى عددهم فقد رثى المعري على قبره سبعون
شاعرا في قرية صغيرة كالمرة، وقاما تجد قرية في لبنان ليس فيها
من ينظم الشعر وكذا قل عن سائر البلدان العربية وخذ
اية مجلة وانظر فيها تر اسماء شعراء جدد فيهم المتفوق وفيهم
من ينجل الشعر ان ينسب اليه .

ومن المعلوم ان كثرة الدرس واختلاف مذاهب
النقد تنشر الشعر وتحببه وتعلمه وتقربه من الاذهان كذلك
كان مذهب ابن العميد في ادب الجاحظ فكثير من الشعراء

الناهين اكتسب شعرهم شهرة لكثرة من درسه ونقده
والشعراء كسائر الناس يحبون بالحفظ فكم شاعرات
مجهولات قرونا كابن الرومي وابن أبي ربيعة حتى احياه النقد
والنشر والتعليق

وكم شعر اخرجته مطبعة فنشرته ثم مالبت ان عاد الى
مدفنه في زاوية النسيان لانه لا يصلح للحياة والحياة خالدة
في ادب ابائها جبارة في ميادين العبقرية والهداية

فاذا عرضنا هذه المقاييس مع ابهامها على شعرائنا من
امرى القيس الى شوقي رأينا شاعراً في الرعي الاول يكاد
يكون منسياً لولا معرفة القدماء فضله ذلك الشاعر هو
البحثري الذي نقت ورجعت الى المكتبة العربية قديماً
وحديثاً فلم اجد عنه كتاباً واحداً إنما هي نتف وكلمات
منثورة في مطولات كتب الادب فيها الفث وفيها
السمين وفيها الصحيح وفيها الفاسد

ومع ازدهار هذه النهضة ومع انصراف الكتاب

والادباء الى درس الشعراء لم اجد منهم من خصص درسا
يمكن الاعتماد عليه في هذا الشاعر واغرب من هذا ان
كتب المناهج في التعليم كتبت عنه قليلا وجمعت ما كتب
عنه في شتى المناسبات فكانت صورة مشوهة طغت عليها
العاطفة فابعدتها عن الحقيقة وان اعجب فلهذا الغرف غير
الهادي من كتاب الاغاني وامثاله عن البحري وابراره
بهذا الشكل القبيح والمظهر القذر ، ومع اننا نجد ديوانه
امامنا وهو مطبوع وسهل الاقتناء فنهمله ونعود القهقري
الف سنة حتى نبدي رأيا قبيحا بمناسبة مجهولة عند الكثيرين
منا فنقررها حقيقة ونعلنها لطلاب الادب او ننشرها كأنها
حقيقة مجردة لا تحتاج الى نقد وبعد نظر

كل هذه الاسباب دعيتي للتعلم في درس هذا
الشاعر على نور الحقائق متجردا عن الاهواء واراها الاقدمين
الا ما رأيت منها موافقا للحقيقة وان كان في درسه صعوبة
دونها سهر الليالي وخرط القتاد واعمال الفكر والضرب في

مجاهل الشعر قديما وحديثا والتفتيش عن كلمة أخطأها
المعاجم او حادثة اغفلها المؤرخون وخلدت في شعر هذا
الشاعر العبقرى . فكان هذا الدرس الذى ارجو ان ينال
عند اهله ما هو بحاجة اليه من التشجيع مع يقينى بالحاجة
الماسة الى مثل هذه البحوث التى تحتاج الى جهود فان نال
ما املت فتلك أمنية تحققت والا اكون قد لبيت رغبة
ملحة فى النفس وحسب الباحث ان تطمئن نفسه الى عمله
وان يكون قد اتم واجبا .
